# أدبنا الجديد أمام مسؤوليته

بقلم محمد الجزائري

## ١ ـ المنعطف التاريخي :

يضع الانسان تطلعاته الثورية موضع التطبيق ، حين يمتلك القابلية في تحويل الفعل الثوري الى ناتج طبيعي للعمل الثوري ، وفق امتلاك كامل لوعي مدرك لمسؤوليته التاريخية ورؤية سليمة وفهم عميق لقوانين الطبيعية والمجتمع ومسار التاريخ ..

فالانسان لا يصنع تاريخه الخاص بمعزل عن الظروف الموضوعية وقوانين الحياة .. ومن هنا فالبشر لا يصنعون تاريخهم الخاص الا في « شروط محددة موروثة من الماضي لم تكن من خلقهم » وضمن الممارسة والمبادرة التاريخية التي تحقق لعمل البشر ، الفعل الثوري المنجز ..

لذا يجب ان نجعل من النظرية الثورية التي ترشدنا في العمل « لحظة من التاريخ الجاري صنعه » والتاريخ الجاري « كتابته » ـ كما يؤكد غارودي ـ اي ان « نربط بين الفكر الفلسفي والعمل النضالي لتغيير العالم » كما اراد ماركس .. لكي يمكننا ان نفهم اشكال الانتقال من بنية اجتماعية الى اخرى ، عبر فهم تاريخي وموضوعي للارض الثورية ومناخها وطبيعة التكوين والتركيب المجتمعي الذي يحقق فاعليته عبر العمل المنظم ..

وان ايجاد صيغة العمل الملائمة لا يمكن وضعها بتجريد نظري ، وبمعزل عن كامل الشروط الذاتية والموضوعية المحيطة بالبشر ، الذين لا يمكن بدونهم ـ طبعا ـ صنع شيء ..

وهكذا ففي المنعطفات التاريخية الحاسمة تمر الشعوب بلحظات تأمل امام الواقع الموضوعي ، وامام ضرورة تخطي هذا الواقع وتغييره ، لتحقيق التطلعات المشروعة للانسان ..

ومنذ الحرب العالمية الثانية ، وبعد نكسة ١٩٤٨ ـ على وجه التخصيص ـ وقفت جماهيرنا التقدمية امام مفترق طرق .. ماذا حققت في الماضي ، وماذا يجب ان تحقق للمستقبل ؟

وامام الادباء التقدميين تجسدت الخطوط العامة للعمل كطليعة فكرية تسهم مع الطلائع النضالية للعمل من اجل الاحسن .. فوجدت ـ بالضرورة ـ ان تكون مهمة الاديب خدمة قضية الانسان ، انطلاقا من واقع التجربة التي قدمت فيها الانسانية اغلى التضحيات ..

لذا كانت مهمة الاديب التقدمي تنصب في السعي لاقامة النظام الديمقراطي الثوري لانه ـ وحده ـ القادر على تصفية مواقع الاستعمار في بلادنا ، والوقوف ضد تآمراته ، وتعبئة قوى الشعب لمجابهته والتصدي لاعوانه وبالتالي الاسهام النشيط في قضية صيانة الامن والسلم في المنطقة وتأييد حركات التحرر الوطني ..

فلا غرابة ، اذن ، ان يجري انفتاح كبير على الادب الانساني الذي صاغ موضوعاته من نضالات الجماهير ، وتطلعاتهم المشروعة للحرية والديمقراطية والسلم والتحرر الوطني والمجتمع الافضل ، فغمرنا جيل الاربعينات ـ من التقدميين ـ بالدروس العملية عبر الادب والحياة ، واغنى تجربة الانسان المكافح من اجل سعادة شعبه وحرية وطنه ، والمناضل من اجل دفع عجلة التحرر للسير على طريق التحولات الاجتماعية الاعمق نحو الاشتراكية ..

ولقد زرع جيل الاربعينات ، هذا ، في اذهاننا لبنات الفكر الاشتراكي واقرب الامثلة للذهن ما كرسه الاديب الراحل رئيف خوري ـ وصحبه ـ لجماهيرنا من خدمات جليلة في الادب والحياة والعلوم الاجتماعية كغيرهم من الماركسيين الذين عرفوا لنا الظاهرات الاجتماعية بارتباطها الديناميكي بالحياة ، انطلاقا من كون « العلم الاجتماعي ـ كما يقول لينين ـ كل علم اخر على وجه العموم ـ يبحث في الظاهرات الكثيفة لا في الوقائع المنفردة .. فالظاهرات الصرف غير موجودة ولا يمكن ان توجد لا في الطبيعة ولا في المجتمع .. »

لذا فأن الواقع الموضوعي حدد امام الاديب التقدمي مهمات النضال الحاسم ضد كافة اشكال الاضطهاد والعدوان ومن أجل الحرية والديمقراطية والسلم والتحرر الوطني ، ومن اجل التغير الاعمق لتركيب مجتمعنا ودفعه للتحول الى مجتمع جديد يتوفر فيه الاخاء الانساني ويضمحل فيه الاستغلال كما حدد رئيف خوري ذلك بقوله : « ان الادب انفتاح على الحياة المتحركة المتجددة ابدا .. والاديب لا ينقل نسخة عن العالم الواقعي ، وانما هو يميز في ما يصف ويصور ظواهر الحياة التي تنمو من ظواهرها ، التي تذبل وتضمحل .. » .. فقد سعى جيل الادباء لتحقيق هذا الفهم في كتاباتهم .. فكان هذا الفهم الديالكتيكي للحياة هو السمة الفكرية المميزة لجيل ما بعد الحرب العالمية الثانية من الادباء التقدميين ، لان مفهومهم للادب هو ان يكون جزءا من الحياة فاعلا فيه وان يرتكز على الظواهر الجديدة التي تنبثق من صلب الظواهر القديمة وتنمو في رحمها .. لكنها تأتي لازاحتها وطرح كل ما هو لا أنساني من الحساب .. من ثم : « فالاديب يستطيع ان يدخل في وعي الجماهير الجديدة .. » ويستقطب حولها الناس لكي يسهم ـ من خلال ذلك ـ في تغيير سحنة الواقع المتخلف ودفع الحياة نحو الافضل .. وهذا يتطلب من الاديب اولا فهم قوانين الحياة والمجتمع وادراك طبيعة المسار التاريخي الحتمي للانسانية ، وربط نشاطيته الفعالة بعملية التحرك لخلق الجديد والانساني .. لكيما تكون فاعلية الاديب ونشاطيته بمستوى تطلعات الجماهير واهدافها المشروعة ، والتحاما دائما بنضالها الدائب ضد قوى الردة والتخلف والامبريالية لان الضرورة تقتضي بناء الاشتراكية بقيادة فصائل النضال الاساسية : العمال والفلاحين بتحالفهم مع المثقفين الثوريين والجنود والضباط الاحرار .. ولان ذلك ليس ضروريا حسب « لكبح مقاومة وتخريب القوى المعادية للثورة والمهزومة ، بل وضروري ايضا ـ وفي الاساس ـ لاعادة تنظيم المجتمع بكامله على اسس اشتراكية ، ولاعادة تثقيف الشغيلة بالروح الاشتراكية وروح الملكية الجماعية والاممية البروليتارية .. وهذا يعني الكفاح الجريء والحازم والمثابر والواعي والمبرمج ضد كل التأثيرات والعادات والاوهام البورجوازية الصغيرة السيدة في المجتمع والتي تشكل تربة واسعة وقوة كبرى بيد الرأسمالية المخلوعة » وقد تجسد هذا في تجربة الجمهورية العربية المتحدة منذ الاتحاد القومي ولغاية محاكمات الثورة التي تجري حاليا ..

وهكذا فعبر تلكم الاعوام ، وعبر مئات الامثلة النضالية التي قدمتها شعوبنا المناضلة نجد انفسنا اخيرا امام نكسة جديدة اشد واعمق من نكسة ١٩٤٨ ـ وان تكن نتيجة طبيعية لها ـ واكثر ادانة لحكوماتنا التي لم تؤمن بالجماهير وبنضالها الشريف .. فماذا عمل الادباء ، اذن ، بعد النكسة ، وامام هذا المفترق في درب النضال ، امام هذا المنعطف التأريخي ؟..

أظن ان الاجابة على الشطر الثاني من السؤال تتطلب مراجعة واعية ودقيقة لتاريخنا السياسي ، عبر ربع قرن ، وانظمتنا ، وقواعدنا الشعبية ، ومراجعة لفكرنا وماذا انجز في مجال التطبيق وقياداتنا وتنظيماتنا السياسية وماذا حققت .. وهذه عملية صعبة وشاقة آمل ان تدرس جيدا في مجال اخر وفي المستقبل القريب ..

ولكن باختصار يمكن القول ان نكسة ٥ حزيران بدأت منذ ١٩٤٨ .. واسهمت فيها كل الحكومات البيروقراطية والديكتاتورية والعميلة، من ثم اسهمت فيها ، ايضا ، وبدرجات متفاوتة ، كل القيادات الجماهيرية التي تحولت الى قوى يمينية ذيلية تتعقب الاحداث وتلهث وراءها ، ومن ثم تبرري ، بعد وقوع الحدث ، لدراسته ، وتوضيح جوانبه الايجابية والسلبية ، بعد ان تكون مهمتها الجديدة في استكشاف المستقبل ، والتحرك وفق المعطيات التاريخية ، والارتفاع لمستوى طموح وتطلع الجماهير وتخطي الجراح والنكبات والنهوض بالمجتمع نحو التحولات الكبرى ..

لذا فان عمل الادباء هو حصيلة لهذا التركيب المعقد في مجتمعنا ، وحكوماتنا .. فهم لم يقدموا حتى الآن ، سوى دراسات متضاربة ، غير منسقة ، نشرت هنا وهناك ، عن العدوان والنكسة ، اسبابها ونتائجها .. الخ ! ، ولم يقدموا عملا مقاوما ، أو يخطط للثورة ، ويقف في مستوى النضال الذي تخوضه فصائل المقاومة في الارض المحتلة ـ مثلا ـ الا ما ندر ، وعلى المستوى الشعري في اكثر الاحيان ، واغلب هذا النتاج كان من الارض المحتلة ذاتها كاشعار محمود درويش وصحبه .. بل ان العديد من الكتابات اثبرت لطرح شعار « محو آثار العدوان » في حين ان اسهام اسرائيل في عدوان ١٩٥٦ جاء نتيجة طبيعية لكون اسرائيل الادارة التنفيذية للاستعمار في الشرق الاوسط ، وقاعدته العدوانية ، وهي تطلب بحكم ارتباطها بالامبريالية بديلا وتعويضا عن عملها هذا ، عدوانيا ايضا ، يسندها في المستقبل لدعم وجودها ، وهذا ما تم فعلا في عدوان ٥ حزيران الذي اسهمت فيه امريكا بشكل فعال ، مع ان عملية الفصل بين الاستعمار العالمي واسرائيل خدعة كبيرة . فاسرائيل اوجدها الامبرياليون في المنطقة تهدد امنها ، وتسهم في اجهاض حركات التحرر الوطني ، ونسف محاولات التغيير الاجتماعي الجارية في البلدان ذات الانظمة التقدمية والتي استهدفها العدوان بالاساس ..

اذن ، فالضرورة تطرح علينا الشعار التالي : « محو اسرائيل ككيان استعماري واقامة دولة فلسطين الديمقراطية الثورية » عن طريق ـ اقامة انظمة ديمقراطية ثورية في البلدان المجاورة لفلسطين ـ بشكل خاص ، ورفع مستوى الكفاح الثوري المسلح لشعب فلسطين تحت قيادة ثورية ..

والان نحن امام منعطف تاريخي جديد فما هو البديل الذي نضعه لانفسنا بعد النكسة ؟ هل هو حقا « محو آثار العدوان » ام « محو كيان اسرائيل كدولة استعمارية واقامة دولة فلسطين الديمقراطية الثورية »؟

ان معطيات النضال اليومي ، وتفاصيل ما يجري في واقعنا العربي، وضعتنا امام اجابة واحدة لا غير وهي الحل الوحيد .. والذي يكمن في : العمل الثوري المنظم لمحو دولة اسرائيل واقامة دولة فلسطين .. من ناحية .. ومن ناحية اخرى تصعيد النضال الثوري لبناء المجتمع الاشتراكي ، واقامة الانظمة التقدمية في الوطن العربي ، كترسانة قوية ضد اي محاولات استعمارية ترمي وتستهدف ـ كما كان ستراتيج العدوان الاخير ـ القضاء على الانظمة التقدمية في الوطن العربي ، والتوسع على حساب تخلفنا في المعركة ..

لماذا ؟..

لان الاشتراكية هي البديل الثوري الاوحد للخروج من الازمة الخانقة التي تمر بها بلداننا العربية ، وذلك بسبب كون الانظمة الاخرى ، حققت عجزا ـ في تكوينها واساليبها ـ لنيل اي تقدم يخدم القضية الفلسطينية وقضيه الانسان العربي . ولان الحياة تخطت ـ بالاساس ـ العقليات والانظمة التي تعتمد الذهنية البورجوازية والبورجوازية الصغيرة القلقه ، وسيله للتخطيط والعمل ، وهي غارقة في شوفينيتها وبيروقراطيتها ..

اذن .. نحن امام الظاهرية الثورية التي اوجدها هذا المنعطف التاريخي الخطير : ظاهرة الكفاح المسلح والتي تتطلب تصعيد العمل والفكر الثوريين نحو استكمال حرب المقاومة واتباع اعلى اشكال الكفاح المسلح ضد العدو .. اقول امام هذه الظاهرة الثورية نجد البعض من الادباء والمثقفين لا زالوا يتمشدقون ، فقط ، بضرورة « تخطي » المرحلة الحاضرة .. لكنهم يرفضون ـ في اعماقهم ـ الحل الاشتراكي العلمي وطريق الكفاح المسلح ـ فهم « ماركسيون » دون ماركسية حقة .. ودون نظرية علمية مرشدة ، وهذه الازدواجية في شخصية وذهنية المثقف البورجوازي الصغير ناتجة من « ان الوسط البورجوازي الصغير يساعد في بروز مختلف اشكال الانتهازية : اليمينية واليسارية والقومية .. وبحكم طبيعة الذهنية البتي بورجوازية ، الذهنية القلقة، فانها معرضة للوقوع في مواقع الذيلية والتحريفية ، وكذلك في مواقع الانعزالية والمغامرة ، اذ ليس بين الانتهازية اليمينية واليسارية اسوار صينية » ولكن الحياة والواقع الثوري رفضا هذا المنهج الانتهازي ، ولم يعد بالامكان تبني الاشتراكية دون نظرية علمية مرشدة . فعبر الاشتراكية العلمية لكونها « فكرا نضاليا ودليل عمل » نتبثق ضرورة فهم انواع التعدد والتنوع في التجربة التطبيقية واستكشاف ما في تاريخنا وحضارتنا من معطيات ، ودراسة واقع كل بلد من البلدان ، واستيعابها ، للاسهام في بناء مستقبل الانسان الخلاق ..

ان « تخطي » هذه المرحلة ، يعني السير المتواصل في الطريق المؤدي للاشتراكية في البلدان ذات الانظمة التقدمية ، وتحرير البلدان الخاضعة بشكل مباشر او غير مباشر للتبعية الاستعمارية .

وهذا لا يتم دون اعتماد فكر ثوري اصيل يصحح الاوضاع ويسهم في تغيرها حين يتحول الى عمل ثوري منظم ... وان الذين يشككون في جدوى العمل الثوري المسلح ، كحرب المقاومة ، كوسيلة لتحرير ارضنا السليبة واقامة دولة فلسطين الديمقراطية الثورية ، يظلون يتخبطون بالحلول السياسية التي اثبتت نكسة ٥ حزيران خطورتها وفشلها كحل أوحد ..

ان الذين يؤمنون « بالامر الواقع » ويرتدون ـ في ذات الوقت ـ لبوس الثورية يجب ان يدركوا ان الواقع الموضوعي يتطلب منا تغييره كثوريين حقيقيين لا اقراره « كامر واقع » والتفرج عليه !.. ان هؤلاء يجب ان ينزع عنهم برقعهم « الثوري » الذي يتسبون انفسهم ـ فيه ـ على الماركسية !.. لان الماركسية ـ كما يقول لينين ـ : « ليست تلك النظرية التي تنتقل من تقرير واقع موضوعي الى تبريره كامر واقع ..» فالنظرية الثورية لا يمكن فصلها عن السياسة الثورية ، وحتى في مجال العلاقات الدبلوماسية ، يجب ان تخضع المفهيمات والاعتبارات ، الى المبدأ الطبقي ولواجبات التضامن الاممي ..

والاشتراكيون من الادباء يجب ان يرفضوا اي فصل بين هاتين الآصرتين ، لان الفصل يعني السقوط في متاهات ميتافيزيقية غير مجدية ، فحل القضية الفلسطينية لا يتأتى من عواطف نبيلة تقدمها ـ كادباء ـ الى العالم مسطرة على الورق .. فالواقع الثوري يحدد امامنا مهمات ثورية في كامل مجالات حياتنا ، وفي فكرنا واخلاقيتنا ، وحتى في تركيبنا السيكولوجي ، لان الثورة لا يمكن انجازها دون رجال ثوريين حقيقيين ، ودون اتباع اعلى اشكال العنف الثوري ضد العدو ..

فماذا نستخلص من ذلك ؟

هل نستخلص برنامجا ثوريا لعمل الادباء كجنود معركة وجنود فكر وقلم ؟ ام نظل نتشرنق داخل افكار رومانسية عن الثورة .. ام نظل سادرين في سقوطنا بأوهام الحماس القومي لذهنية البورجوازية الصغيرة الذي لا يبرهن وام يبرهن على تماسك في الارض الفكرية بل يدل على اندفاع قد يثمر نتائج سلبية فيجهض اي عمل ثوري منسق .. لان اي عمل نضعه من خلال المنطلق الثوري يجب ان يدرس كامل الظروف الذاتية والموضوعية ، ويحللها بشكل دقيق وواع ، ويفهم شروط اي عمل ثوري ، للسعي من خلاله لتحقيق الافعال المنجزة ، وتحقيق كامل للمشاريع الثورية ، عبر تضامن كافة القوى التقدمية وتنسيق عملها في جبهة نضالية تقدمية ترسم التاكتيكات السليمة التي تحقق في الآني والبعيد أهداف الثورة ، وتطلعات الجماهير ..

ولكن .. ثمة سؤال يقفز هنا للذهن : هل تحررنا حقا من « العقلية

ـ التتمة على الصفحة ٦٣ ـ

# ادبنا الجديد امام مسؤولية

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٦ ـ

***

العشائرية والطائفية والسحرية والسلطوية التي قادتنا الى كوارث عديدة لا تنحصر في النكسة » (١) .. » ؟

اظن ، كلا .. فليس الحديث التجريدي عن التخلص من هذه المضامين المتخلفة هو الذي يحدد لنا ، وللادب التقدمي ، انتماء والاغناء ، للاسترشاد الى طريق الخلاص الفعلي من الازمة ، لان عقليات ادبية وفكرية وسياسية عديدة لا تزال عامرة بهذه المضامين الرجعية الموروثة فهل يحرر العقل العربي من موروثاته السلبية ، فقط ، لانه ارتطم بالنكسة ، واذ ذاك سيستطيع الاندماج في العمل الثوري المنسق لتحرير فلسطين ؟

اظن كلا .. أيضا ، لان النكسة لم تهز في هذه العقليات الداخل وتطهره ..

اننا ـ كثوريين ـ ندرك جيدا ان لا خيار لنا في الوصول الى طريق الخلاص والتخلص من واقعنا المتخلف ، الممزق ، والمزري ، الا بالعمل الثوري المنظم ، للاطاحة بكل الانظمة الهزيلة الرجعية ومواجهة الامبريالية بصف موحد ، والا فستأكلنا الامبريالية وفصائلها العميلة ان نحن سمحنا لانفسنا الجلوس معها ـ مرة اخرى ـ على مائدة واحدة .. اذن كيف يتم لنا « الانفتاح على تجارب الاخرين وافكارهم قبل صياغة حياتنا الجديدة » ؟ (٢) .. ؟ بل برفض الماركسية كعلمنة انسانية والتشبث بمعطيات غير واضحة عن الاشتراكية ؟ دون تحديد معالمها ومضامينها ومنطلقاتها وجذورها التاريخية ؟ من ثم دون الاذعان لحقيقة كون كل التجارب الاشتراكية في العالم تستمد جذورها ومعطياتها الايديولوجية من الفلسفة الماركسية اللينينية على اختلاف اساليب التطبيق وطرائقه ؟ فالتجربة المحلية تغني النظرية ، وتجعلنا امام ضرورة الاستعادة من واقعنا الموضوعي وتاريخنا وحضارتنا ، والعمل وفق تركيبنا الاجتماعي والثقافي والنفسي .. وهذا لا يعني بالتأكيد رفض الماركسية وايجاد بديل لها مقطوع الصلة عن الفكر الاشتراكي !..

ان تخريجات بعض المثقفين وتنظيرهم واجتهاداتهم لايجاد « نظرية عربية للاشتراكية » لا ، ولن تبني اشتراكية علمية في الوطن العربي ، فالمثقفون ـ وحدهم ـ مع توريتهم لا يمكنهم قطعا بناء المجتمع الاشتراكي بافكارهم وحدها .. ولا يمكنهم أن يقودوا ـ وحدهم ايضا ـ المجتمع لبناء الاشتراكية ما لم يعتمدوا على الطبقة العاملة وحزبها الثوري ، وما لم يتحقق التضامن الكفاحي بين كافة قوى الثورة ، وما لم تتحالف الطبقة العاملة والفلاحين عبر طليعتهم الثورية ، مع فصائل النضال الاخرى ، لتقود النضال السياسي والطبقي كيما تتحقق عن طريق اسهامها الفعلي في الحكم ، اشتراكية حقة ، بأقل التضحيات الممكنة..

اما العدول الوسط ، والطريق اللارأسمالي البطيء ، فهو لا يحقق انجازه الثوري في البلدان المتخلفة صناعيا ، بقيادات بورجوازية صغيرة ، يمكن ضربها بسهولة اعتمادا على الثغرات الكبيرة الموجودة بعمق في تركيبها وقيادتها ، واساليبها في العمل والبناء ، ودون الارتكاز الاساس على قوى الثورة الحقيقية : العمال والفلاحين .

فحتى المثقف الثوري المنحدر طبقيا من البورجوازية ، ما لم يتخلص كليا من عنفوانه الطبقية ، فسوف لن يستطيع ان يغير بنية المجتمع .. اذ ان بنية وتركيب المجتمع تطبع هؤلاء بطابعها المميز ، وقد تسحبهم جذورهم الطبقية للسقوط امام اول هزة عنيفة تضعهم على المحك ، ان لم يتحصنوا بكفاحية عالية ، واستعداد كبير للتضحية والصمود ..

فما هو السبيل اذن لتلاحم قوى الثورة ؟ هل هو طريق العمل الليبرالي ، ام طريق الجبهة النضالية التقدمية ؟

باعتقادي ان السبيل المثمر ، والايجابي ، هو طريق الجبهة النضالية التقدمية ، هذه الجبهة التي تضم كافة العناصر الثورية المعادية للاستعمار والاقطاع والصهيونية والرجعية والمؤمنة بالاشتراكية فكرا ، ومنهجا .. والمحققة لافعالها الثورية عبر الكفاح المسلح ضد العدو الامبريالي الشرس وصنائعه .. لاقامة دولة الديمقراطيه الثورية في البلدان التي لا تزال تدور في فلك الاستعمار واقامة السلطة الاشتراكية الديمقراطيه الثوريه في المجتمعات التي تحررت من ربقه الاستعمار لتدفع وتقود جماهير شعبنا لاستكمال بناء المجتمع الافضل.. لكيما نضع للمنعطف التاريخي الجديد ، دلالته الاجتماعيه ، والثورية في عملنا الفكري والسياسي والاجتماعي .

## ٢ ـ صوت الاشتراكيه :

اذن .. فاذا كانت نكسة ١٩٤٨ والحرب العالمية الثانية ، قد أرست الادب على مرفأ تقدمي ، فان نكسة ١٩٦٧ يجب أن تحول الادب نحو مرحلة جديدة فترسيه على مرفأ اشتراكي وان يتجلى صوت الاشتراكية في ادبنا قويا ، عميقا ، لانه يرتطم بارض صلبة ، هي ارض النضال العتيد لجماهيرنا الباسلة ، هذا الصوت الزاخر بالمعطيات الكفاحية العالية ، لكي يكون ادبنا مؤثرا وفاعلا ..

فنحن نفهم الاشتراكية شرطا حياتيا يتنفس من خلاله الانسان أنسام فكره ويجني ثمار جهوده وكدحه وينام وفي اعماقه اطمئنان خالص من المستقبل ..

ونحن نفهم الاشتراكية بعدا انسانيا تموت فيه العنعنات القبلية والاقليمية والشوفينية ويندحر الى غير رجعة الفكر اليميني ، وافكار الهيمنة والاحتكار اللامشروع لنتاجات الانسان وعمله وفكره ..

ونحن نفهم الاشتراكية اخلاقية ثورية تقوم على تقديس الانسان كمبدأ ، وهدف .. فتقيم مسيرة نبيلة وتظاهرة حضارية نقية لانجازاته تحفر في المستقبل اثارها الشامخة .. ونحن نفهم الاشتراكية طريقا نحو عالم اكثر انارة ، واحتضانا للانسان .. يشمخ فيه برأيه ورايته ومعتقده ، وكيانه ، دون ادنى خوف من عسف او ارهاق او تجويع او سجن او نفي او قتل ، او مستقبل مجهول ..

فالاشتراكية تجتاز كل التعريفات الاكاديمية وتكشف عن جوهر وجودها بعلامتين مضيئتين :

الخبز والحرية ..

ومن هنا .. ووفقا لذلك ينبغي خلق المناخ الفكري المستقر على شروط مادية لا طبقية ، وفي تركيب تشريعي وتنفيذي ثوري مبدع ونظيف ، لكيما يكون طريق الاشتراكية فكرا مجسدا في التطبيق الواعي .. ونظرية علمية مرشدة تغتني بالحياة ، ونظرة ديالكتيكية للكون ، تحمل ديناميكيتها الثورية ، واستمرار وجودها ، واندفاعها الواعي بزخم فاعل ومغير وجديد ، لكي نمنح العالم لوننا الانساني دون زيف ..

وباختصار لا يمكن ان يكون لادبنا صوته الاشتراكي دون ادباء اشتراكيين فكرا وعملا وذلك لا يتحقق ـ في الظرف الراهن ـ الا عبر ثلاثة شروط :

١ ـ شرط الحرية لكل الآراء التقدمية بالتعبير عن منهجها دون خوف وقولبة ونصية جامدة او قرارات رسمية فوقية .

٢ ـ شرط الاسهام والتحرك لكل قوى الثورة في مساحات نابضة بالاطمئنان يصوغها العمل السياسي الجبهوي المنظم ..

٣ ـ شرط الديمقراطية السياسية والاجتماعية لخلق ناشط ثوري متمرس ومتمكن من بلورة الاهداف والاماني الوطنية والقومية والتحرك والتفاعل مع الجماهير الواسعة لخلق وصياغة تجربتها النضالية بنتاجات هادفة تثري الانسانية وتتفاعل معها ..

وعبر هذه الشروط يجد الاديب نفسه وسط جو مشبع بالعمل ومتمكن من ايجاد الرؤية السليمة والمحللة وجعل الارهاصات تتفاعل مع الوجود العامل فتخلق افعالها الملتحمة بالاشياء والمؤثرة بها .. لكي يبقى صوت الاشتراكية في الادب متساوقا مع ظروفنا الموضوعية المتطلعة لتحقيق اهدافنا الثورية عبر هذا المنعطف التاريخي الحاسم ..

ولكن امام الادباء التقدميين اكثر من علامة مؤثرة في مجرى العمل والحياة ..

فالاديب يعيش منفاه وغربته ومعيشته المضنية ، وهذه ليست محنة فردية ، بل هي ظاهرة سلبية ووصمة سوداء في جبين واقعنا

---

(١) ، (٢) أنظر . على هامش الترجمة لنزيه الحكيم في كتاب ماركسية القرن العشرين لروجيه غارودي ص ١٦ ..

وظروفنا ، وعالمنا المرعب .. فالانسان يعيش الغربة داخل وخارج وطنه بسبب الانتهاكات العديدة لمواطنته ووجوده وانسانيته وهذه المحنة تتجسد في كونها ظاهرة عامة ، يعيشها قطاع كبير من الناس ، والاديب لا يمثل سوى علامة الطريق في المسيرة النبيلة ، ولكيما ندرس واقع المحنة ، يجب ان ندرس واقع انساننا كشرط للفعل الاول في عملية تصعيد وخلق الحوار الاشتراكي عبر لقاء او مؤتمر ، او تنظيم ..

ونعود ، لنجد ان العلاج الحقيقي هو في اقتلاع اسباب المعاناة الانسانية مع الجذر وهي شروط المعاناة القانونيةوالاجتماعية والسياسية والفكرية .. اعني في تركيب وشكل السلطات التي تحظى بالعزلة من قبل اوسع الجماهير ، وايجاد البديل الثوري المتمكن من بناء الاشتراكية ..

اما التناقضات الايديولوجية .. وهي ظاهرة موجودة في فكرنا العربي .. فيجب أن تشكل علامة عافية وصحة للادباء ، فهي وجه من اوجه الصراع الداخلي في المجتمع ، لا ان تكون ظاهرة عدائية ، ثأرية.. وطبيعي لا يعني هذا ايجاد مصالحة فكرية على حساب المبادىء بل ايجاد المناخ الطبيعي لحوار نظيف دون اشهار « قميص عثمان » بوجه هذه الجهة او تلك بمناسبة وبغير مناسبة .. فأنا لا أدعو الى تعايش سلمي فكري بين اليمين واليسار فهذا لا يمكن ان يكون ما دامت ثمة فوارق طبقية موجودة ومصادر ثقافية متنوعة ، تمنح سماتها العامة لمثليها .. بل انا ادعو لتطلعات مشتركة وتعايش ينبع من ايمان موحد بقضية الانسان والاشتراكية ..

اما الالتزام ، فهو ليس الزاما قطعا ، بل هو اختيار واع للارتباط بجماهير الشعب وتبني قضاياها الوطنية والقومية والامية ، عبر خصوصية معينة يعبر من خلالها الاديب ، عن الواقع المحلي ، بحيث يكون ادبنا متميز الملامح المحلية ، في اطاره القومي ، وبمضمون انساني فعال ، يرتبط مع المسار الانساني الاشتراكي في العالم باكثر من آصرة.. « فنشيد الارض » لعبد الملك نوري و « الوجه الآخر » لفؤاد التكرلي و « مولود آخر » لغائب طعمة فرمان و « غضب المدينة » لمهدي عيسى الصقر و « حياة قاسية » لشاكر خصباك ـ مثلا ـ مجاميع قصصية عراقية عبرت عن صميمية انسان العراق وتطلعاته الخيرة بشكل عام ..

كذلك فعلت « زقاق المدق » والثلاثية لنجيب محفوظ ، في تعبيرها عن اعماق الشعب المصري ، عبر محاولة تطلعية لخلق مجتمع الانسان الافضل .. اذن ، فالادب الحقيقي الذي يحتوي ويعمق صوت الاشتراكية يجب ان ينبع من التجربة المحلية ويربطها بالبعد الانساني الاكثر شمولا لكي تكتسب وجهها الانساني ، عبر وجهها المحلي والقومي .. وتشكل جانبا دعائيا يخدم قضيتنا ، بالاساس .. لان الادب الدعائي ليس جرحا اذ خدم من خلاله الاديب قضية شعبه ووطنه ، بل لو اخذنا قضايا العصر لوجدنا ان التعبئة الفكرية ، تسبق كل معركة ، وان لكل معركة ادبها الدعائي والثوري .. وما منحته ايانا تجربة ٥ حزيران في مجال الدعاية وكسب الرأي العام العالمي وافتقارنا الى الجانب الدعائي المحكم والسليم في تبيان قضيتنا للرأي العام العالمي ، لغرض كسبه جعل حتى بعض اصدقائنا يتخبطون بمواقف متناقضة نتيجة تأثير الدعاية الصهيونية عليهم ..

فالادب لكي يكون وجها معبرا عن منعطفنا التاريخي بعد نكسة ٦٧ يجب ان يتسق فيه المضمون الثوري مع الشكل الفني الذي يؤثر ، ويجذب ويحقق التعاطف الكبير مع قضيتنا حتى لو استعمل الاديب الرمز كوسيلة لاغناء وتكثيف المعنى وزيادة تاثيره على ذهن القارىء ، وبشكل خاص القاريء في الخارج .. فالادب الاشتراكي ، لا يخلو من تأثر بالاشكال الفنية الجديدة ولكن يجب ان يكون هذا التأثر واعيا ..

وهكذا فامام صوت الاشتراكية وسائل عدة واشكال متنوعة للتعبير الاكثر تأثيرا وفعالية ، في اذهان الناس ، لتتحول الافكار الى قوة مادية مؤثرة وفعالة ..

وهكذا تتجمع تطلعات الاديب ـ كانسان ـ عبر واقعه المعاشي ، وعبر محنته وغربته لتكشف امامه طريق العمل الثوري وتدفعه ، عبر النضال الدائب لمنح المرحلة سمتها الاصيلة في التحفز الفعال للتعبير والعمل الاكثر جوهرية لصياغة مجتمعنا الافضل .. المجتمع الاشتراكي الذي نحب ، ونحلم ، ونعمل ، ونناضل .. لكي يبقى صوت الاشتراكية، هو الصوت الاكثر تعبيرا وتجسيدا للضرورات النضالية التي تطرحها المرحلة عبر منعطفها التاريخي ، ومن اجل التمكن من تحقيق الحل

بغداد

**محمد الجزائري**


# ثورة في الثورة !

بقلم

ريجي دوبريه

ترجمة الياس سحاب

ريجي دوبريه : اسم يعرفه اليوم جميع المثقفين في العالم ، لانه رمز « المثقف المناضل » الذي يجمع العلم الواسع والفلسفة العميقة الى النضال وروح التضحية . وقد وصف هذا الكاتب الفرنسي الشاب بانه « فيلسوف الثوار ومهندس العقيدة وحرب العصابات في اميركا اللاتينية » .

وهذا الكتاب : « ثورة في الثورة » هو حصيلة جلسات نقاش طويلة مع فيديل كاسترو ، ومحاولة لتحديد مبادىء الصراع المسلح والصراع السياسي في اميركا اللاتينية . وقد اثار ولا يزال يثير ضجة كبيرة في الاوساط اليسارية في العالم بالنظر الى شخصية دوبريه الذي اعتقل في بوليفيا ، بعد أن قابل الزعيم الكوبي ارنستو تشي غيفارا الذي قتل اخيرا في حرب التحرير في بوليفيا .

ويقضي مؤلف « ثورة في الثورة » حياته الان في أحد سجون بوليفيا بعد ان حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما بتهمة انه اشترك في الثورة واعطى دروسا في الثورات لرجال العصابات ، وعمل مع غيفارا قبل مقتله في بوليفيا .

صدر حديثا :

الثمن ٣٥٠ ق. ل.